الباب الثامن

في المعتقدات
معتقدات المريدين

١ ـ **مسألة**: تَنْقِيصُ رُتْبةِ أهْلِ اللَّه تعالى والْتِمَاسُ عُيُوبِهِم، وَعَدَمُ رِعَايةِ آدابِهِم حَرَامٌ.

فائدة: الَّذِينَ يَلْتَحِقُونَ بالمَقْبُولِينَ عِنْدَ اللَّه تعالى بطيِّ مَنَازِلِ القُرَبِ بالتَّقوَى والطَّهارةِ والذِّكْرِ والعِبَادةِ، يُقَالَ لهؤلاء الإلهيين: أولياء اللَّه وأهْل اللَّه، فهؤلاء إراحَتُهم إرضاء اللَّه تعالى، وإيذاؤهم كأنه إيذاء اللَّه تعالى.

يستدلّ على رِعَايةِ آدابِ أهْلِ اللَّه تعالى ومُواجَهَتِهِم مِنَ الاحْتِرَامِ والمحبَّة بأدلةٍ ثَلَاثَةٍ:

١ ـ قال المُفَسِّرُونَ في تَفْسِيرِ شَعَائِرِ اللَّه تعالى: إنَّه كَمَا يَدْخلُ في شَعائرِ اللَّه تعالى رسُولُ اللَّه، وكَلَامُ اللَّه عزَّ وجلّ، وبيْتُ اللَّه تعالى، يَدْخُلُ الأولياءُ الكَامِلُونَ في شَعَائِرِ اللَّه تعالى، بَلِ الأمَاكِنُ التي تَصِلُ إليها أقْدَامُهُم تَدْخُلُ في شَعَائِرِ اللَّه تعالى. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٧].

ومَعْلومٌ أنَّ الصَّفَا والمَرْوَةَ موجُودَتَانِ منذ وُجِدَتِ الدُّنيا، ولَكِنْ عُدَّتا منْ شَعَائِرِ اللَّه عِنْدَما وَصَلَتْ إليهما قَدَمَانِ مُبَارَكَتَانِ لأَمَةٍ صَالِحَةٍ صَابِرَةٍ، هَاجَرُ رضي اللَّه عنها، فَعُلِمَ أنَّ الكَامِلِينَ المَقْبُولِينَ حيث وَصَلَتْ

أقْدَامُهُم تعدّ هذه الأماكنُ مِنْ شَعَائِرِ اللّه تعالى، فليعدّ هؤلاء مِنْ شعائرِ اللّه بالدَّرجَةِ الأُولى. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٢ ـ في الحَدِيثِ الشَّريفِ: «إنَّ العَبْدَ يَتَقَرَّبُ إلى اللّه تَعَالَى بالنَّوافِلِ». ثمّ يَحْصُلُ له مِنَ الكَيْفِيَّة ما يقولُ اللّه تبارك وتعالى فيما رواه عنه نبيّه ﷺ: «كُنْتُ سَمْعَه الذي يَسْمَعُ بهِ وبَصَرَه الذي يُبصِرُ به ورِجْلَه التي يَمْشِي بها» فإكْرامُ رِجَالٍ يَقُولُ اللّه فِيهِم هذَا القولَ، إكرامُ أوامِرِ اللّه تعالى.

٣ ـ الوقِيعَةُ في أهْلِ اللّه تَعَالى مَكْروهٌ وإيذاؤهم قَبيحٌ، وفي الحديث القدسيّ: «مَنْ عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذنْتُه بالحَرْبِ».

[البخاري مع حاشية السندي ج ٤ ص ١٢٩]

فإيلَامُ أولياءِ اللّه تعالى كأنّه إيذانُ اللّه بالحَرْب، وعندما يغضبُ اللّه تَسْقُطُ العَمَائمُ مِنَ الرؤوسِ وتُزَالُ الخُمْرُ ويذلّ الإنسانُ في بيتهِ ولا يَبْقَى أهْلاً لمقابلَةِ النّاس، اللّهمّ احفَظْنَا مِنْ غَضَبِكَ.

والعُلَماء المتشدّدون المُنْحَرِفُونَ الّذين يَقِيسونَ أولياء اللّه عَلَى أنْفُسِهِم، والّذِينَ لَيْسَ لَهُم فُرْصَةٌ مِنْ سُوءِ الظَّنّ وسوءِ اسْتِعْمَالِ اللّسَانِ، عليهم أنْ يَتَفَكّروا أنّ التوحيدَ بدونِ أدَبٍ والأدبَ بدونِ تَوْحِيدٍ داخلٌ في الإفْراطِ والتّفْريطِ، الأدبُ مع التوحيدِ دليلُ كَمَالٍ.

٢ ـ مسألة: الغُلوّ في تَعْظيمِ أوْلياء اللّه تعالى أيضاً مَعْصِيةٌ.

فائدة: بعضُ النّاسِ يَغْلُونَ في آدابِ المَشَايخِ وتعظيمِهِمْ حتى يسْجُدُوا لهُم تَعْظِيماً، وهذا حَرَامٌ دَاخِلٌ في الشّركِ، غَلَبَ على اليَهُودِ والنّصَارَى حبّ أنبيائِهِم، فاتّخَذُوهُم أبناء اللّه لغَلَبَةِ الحُبّ، وصرّحَ القُرآن الكريمُ بقَبَاحَتِهِ وشَنَاعَتِهِ، وهناك أناسٌ يتّخِذُونَ الشّيخَ إلٰهاً صَغِيراً

ويزْعَمُونَ أنه يَمْلِك النَّفْعَ والضّرّ. وعن عبد اللّه بن عباسٍ رضي اللّه عنهما، أنّ رسولَ اللّه ﷺ قال:

«يا غُلَامُ إنّي أعَلّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللّه يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللّه تَجِدْهُ تِجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللّهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللّه، واعْلَمْ أنَّ الأمةَ لو اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلّا بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّه لَكَ، وإنِ اجْتَمَعُوا على أنْ يَضُرّوكَ بشيءٍ لمْ يَضُرُّوكَ إلّا بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللّه عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقْلَامُ وَجَفّتِ الصّحُفُ».

[مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٤٥٩]

إيضَاحُ شَنَاعةِ الغُلُوّ في تَعْظِيمِ أولياء اللّه تعالى بمثالٍ:

رَجُلٌ يقول لزوْجَتِهِ: اخدُمي والدِي وأكْرِميهِ، فَمَهْمَا تَخْدُم الزّوجَةُ والدَه رضي زَوْجُها، وإنْ غَلَتْ بالخِدْمةِ حتى تُعَامِلَه كما تُعَامِلُ الزّوجَ لا يَرْضَاهُ الزوجُ أبداً ولا يَغْفِرُ لَهَا هذا الذّنْبَ، وكذلك أمْرُ اللّهِ تَعالى باحْتِرَامِ أوليائهِ ولَكِنْ بقُيُودٍ وحُدُودٍ، وإن غَلَا أحَدٌ في التّعظيمِ يستحقّ العَذَابَ وسَخَطَ اللّه عليه.

٣ ـ مسألة: كلّ طَريقةٍ ردّتها الشّريعةُ فهي زندقةٌ وإلحادٌ.

عَزْلُ الطّريقةِ عنِ الشّريعةِ لا يَجُوزُ بلِ الحَقِيقَةُ أنّ الطّريقةَ خَادمُ الشّريعةِ. بعضُ المَشَايخِ الجُهّال لكِتْمانِ أعْمَالِهِمُ القَبيحةِ يقولون بالتّفْريقِ بين الشّريعةِ والطّريقةِ. قَدْ ضَلّوا وأضَلّوا أصْحَابَهم، وبَعْضُهُم لا يُصَلّون ويقولون: صَلَاتُكم خَمْسَةُ أوقاتٍ وَصَلَاتُنا كُلّ وقْتٍ. ذُكِر لسيّد الطّائفة الشّيْخ الجُنَيد البَغْدادي رحمه اللّه أنّ طائفةً مِنَ الصُّوفيةِ الجُهّال تقول: نَحْنُ وَصَلْنَا فلا حَاجَةَ لنا إلى الصّلاة والصيام فقال الشيخُ:

(صَدَقُوا في الوُصُولِ ولَكِنْ إلى سَقَرِ)

٤ ـ مسألة: قد يَعْرِفُ أولياء اللّه تعالى بَعْضَ الأمُورِ بالكَشْفِ والإلْهَامِ خَرْقاً للعَادَةِ.

فائدة: لا يَعْنِي هذا أنَّ أولياءَ اللّه تعالى يَعْلَمُونَ الغَيْبَ. لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إلَّا اللّهُ، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

نَعَمْ، يخبر اللّه تعالى بأنْباء الغَيْبِ ما شاء ومَنْ شاء مِنْ أنبيائهِ وأوليائهِ، واعْتِقَادُ أنَّ الشَّيْخَ يَعْلَمُ كلّ شيءٍ كلّ وقْتٍ ضَلَالةٌ بيّنةٌ. بَلَغَ الجَهْلُ اليومَ إلى مُنْتَهَاهُ حتى يقولَ البَعْضُ: إنَّ سَنَانِيرَ بيتِ شَيْخِنا تَعْلَمُ الغَيْبَ أيضاً. والحقيقةُ أنَّ مَنْ رُزِقَ كَشْفَ القُلُوب لا تَتَبيّن له الحَقِيقَة كلّ وَقْتٍ متى أرادَ اللّه تعالى كَشْفَ الحِجَابِ، على أنّ الكَشْفَ لا يجِبُ أن يكونَ دائماً صحيحاً، بل يَحْتَمِلُ الخطأَ.

حكاية: كَانَ الشيخُ مَوْلَانَا محمّد قاسم النانوتوي رَحِمه اللّه تعالى يَذْهَبُ مع النَّاس إلى عمَارةٍ، فلمَّا أن بَقي مَسَافَةٌ قليلةٌ سألَهُ رَجُلٌ فقَالَ: إنَّ كُشُوفَ الأولياءِ قد تتأخَرُ عَنْ وَقْتِها، وأَخْبَارُ الأنبياء لا تتأخَرُ عَنْ وَقْتِها، فهلْ يخطِىءُ كَشْفُ الأولياءِ؟ فسأل الشَّيْخُ: أيّ عَمَارةٍ قُدَّامَنا؟ فقال: السّجْنُ، فقالَ: أفيهِ شكّ أم هو يَقِيني؟ فقالَ السَّائلُ: لا، بلْ هو السّجْنُ بلا رَيْبٍ، فقال: كَمْ يبعُدُ السّجْنُ مِنْ ههنا؟ فقَالَ: قَريبٌ مِنْ مائةِ قَدَم، فقال: هَلْ يُمْكِنُ أن يكونَ بَدَلَ المائةِ مائةٌ إلَّا خَمْسَةً أو مائةٌ وخَمْسَةٌ؟ فقال: نَعَمْ. إنَّه ظَنّ وليسَ بيقينٍ، فقالَ: هَكذا كَشْفُ الأولياءِ يَحْتَمِلُ الخَطَأَ إذْ هُمْ يَرَوْنَه مِنْ بعيدٍ.

فلمَّا انْتَهَى إلى بَابِ السّجْنِ ولمْ يَبْقَ مِنْه إلا قَدَمَانِ، قال الشَّيْخُ: أي عَمَارةٍ هذه؟ فَقَالَ السَّائلُ: هي السّجنُ. فقال: كَمْ مَسَافَةً بَيْنَك وبَيْن السّجْنِ؟ فقَالَ: قَدَمَانِ. فَقَالَ: هل يُمْكِنُ أنْ يكُونَ بَدَلَ قَدَمَيْن ثَلَاثَةُ

أقْدَام أو قَدَم واحِد؟ فَقَال: لا. فَقَالَ الشَّيْخُ: هكذا حَالُ كَشْفِ الأنبياءِ يَرَوْنَه حَقّاً ويَرَوْنَه مِنْ قَريبٍ.

[الأرواح الثلاثة ص ٢٥٨]

٥ ـ مسألة: عِبَادَةُ غيرِ اللَّه حَرَامٌ لا يجوزُ اسْتِعَانَتُهُم.

فائدة: عِبَادةُ غَيْرِ اللَّه حَرَامٌ. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

الإشْرَاكُ في ذات اللَّه تعالى وصِفَاتِه هُوَ الشِّرْكُ وهو جَرِيمَةٌ لا تَحْتَمِلُ العَفْوَ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

حكايةٌ: كَانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ يقولُ: تَعَلَّمْنَا التَّوحيدَ من امْرَأةِ قَصَّارٍ، فقال رجُلٌ: وكَيْفَ يا سيّدي؟ فقال: كُنْتُ مُشْتَغِلاً يَوْماً في العِبَادَةِ، إذْ قَصَّارٌ وامرأته بِجِوارِي يَخْتَصِمَانِ. كانَ القصَّارُ يريدُ نِكَاحاً ثانياً وكانَتِ امرأتُه تقولُ: تحمَّلْتُ لأَجْلكَ العُسْرَ والشِّدَّةَ إنْ وجَدْتُ الطَّعامَ أكلتُ وإنْ لم أجدْ صَبَرْتُ. تحمّلتُ كلّ مشقَّةٍ وأسْتَطِيعُ أنْ أتحمَّلَ لأجْلِكَ مشقّةً فَوْقَ ذلك، ولَكِنْ لا أسْتَطِيع أن تُشْرِكَ أحداً في حبّي. قال الحَسَنُ البصريُّ: فنَظَرْتُ في القُرْآن فإذا هذه الآية أمامي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

حكايةٌ: كَانَ شَيْخٌ كَثِيراً يقُولُ: تَعَلَّمْنا التوحِيدَ مِنَ امرأةٍ فقالَ رجُلٌ: وكيف يا سيّدي؟ فقال: جاءتْ سَائِلةٌ امرأةٌ وقالت: أفتِني أنَّه لا يجوز لزَوْجِي إنكاحُ امرأةٍ أخْرَى عليَّ فقلتُ: وكيف أفتي بهذا وقد أبَاحَتْ له الشّريعةُ؟ فَما زالتْ تَصِرّ وأنا أرْفُضُ وأخيراً تنفّسَت نَفَساً بارِداً وقَالَت: يا سيدي! أمر الشَّريعةِ حاجِزٌ وإلَّا أكْشِفُ لكَ وجْهِي فترى حُسْني وجَمَالِي فتضطرّ أنْ تُفْتِيَ أنَّ مَنْ كَانَتْ له زَوْجةٌ مثل هذه حُسْناً

وجَمالاً لا يُبَاحُ له الزَّوجةُ الثانيةُ؟ ثم ذَهَبَتْ، ولَكِنْ بَعْدَ أن عَلَّمَتْنِي التَّوحيدَ فقلت: إنَّ امرأةً تَفْتَخِرُ هَكَذا بحُسْنِها الفَانِي ولا تُبيحُ أن تَرَى مَعَها امرأةً أُخْرَى، فاللَّه سُبْحانه وتعالى وهو مَالِكُ المُلْكِ وأحْكَمُ الحَاكِمينَ، كيف يُحِبُّ أنْ يُشْرِكَ في ذَاتِه وصِفَاتِه، فلا يجوزُ استعانةُ غَيْرِ اللَّه تعالى، ولذا يُؤْخَذُ كل يوم ميثاقُ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] عدة مرات.

وينْبَغِي للمؤمنينَ أن يُعْلِنُوا بـ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] و: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

٦ ـ مسألة: السّجودُ للقُبُورِ ووضْع الجَبْهَةِ لها والطّواف بالقُبُورِ شِرْكٌ.

فائدة: جَعَلَ اللَّه سُبْحَانَه وتَعَالى للأنْعَام والطّيُورِ والسّبَاع صُوَراً تخضعُ رؤوسها لأكْلِ الغِذاء، بينما وَهَبَ اللَّه تعالى لأشْرَفِ المَخْلُوقَاتِ الإنسانِ صُورةً يبلغُ غذاؤه إلى فَمِه بواسِطَةِ الأيْدِي لا يَحْتَاجُ للأكْلِ إلى وَضْعِ رأسِهِ كي لا يَخْضَعَ لغَيْره تعالى، جَبْهَةٌ خُلِقَتْ لتَخْضَعَ له فَقَطْ، ولذلك نَهَى عن سُجُودِه لغيرِ اللَّه ولو تَعْظِيماً في الشّريعةِ المحمَّديةِ كما نَهَى عَنْ سجودِه للقُبُورِ ووضْعِ الجَبْهَةِ عليها، ولا يَجُوزُ ما يفعله بعضُ الناسِ من تَقْبيلِ جُدْرانِ المَزَارَاتِ. وأدّى شاعِرٌ هذا الكَلَامَ في بَيْتٍ له ومعناه:

لِتَقْبِيلِكَ أنْتَ تُقَبِّلُ أسْوَدَ الحَجَرِ
وإلّا فَمَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي حَجَرِ

٧ ـ مسألة: الدُّعاءُ بتوسّلِ الأولياءِ جَائِزٌ.

فائدة: التّوسّلُ: أنْ يَدْعُوَ هكذا مَثَلاً: اللَّهمّ اقضِ حَاجَتِي كَذَا بحُرْمَةِ الخَواجَة غُلَام حَبيب رَحِمَه اللَّه. ويُمْكِنُ أن يَدْعُوَ هكذا: اللَّهمّ

إنّ الخَواجَة غُلَام حبيب عَبْدٌ لك صالحٌ وأنا أحبّه فببركَةِ حبّي له اقضِ حَاجَتِي. ومِثْلُ هذا التوسّلِ مُبَاحٌ جَائزٌ والتعبُّدُ حَرامٌ غيرُ جائزٍ. وحَالُ العَامَّةِ أنّهم يَحْسِبُونَ الشِّركَ توسّلاً بينما العُلَماء المتشدّدُونَ يَرَوْنَ التوسّلَ شِرْكاً. والحَقِيقَةُ لا تُدْرَكُ إلّا بِصُحْبَةِ أهْلِ اللّه تعالى.

٨ ـ مسألة: طَلَبُ الحَاجَاتِ مِنَ الأولياء أحْياءً كَانُوا أو أمْواتاً غيرُ جائزٍ.

فائدة: لا يَجُوزُ طَلَبُ الحَوائِج إلّا مِنَ اللّه تعالى. بَعْضُ النّاسِ يَقْصِدُونَ المَقَابرَ ويقولون: نَحْنُ نَدْعُوكُم وأنتم تَدْعُونَ اللّه، دُعَاؤنا مِنْكم ودُعَاؤكُم مِنَ اللّه. وبعْضُ الجُهّال يعلّقونَ في بُيُوتِهِم صُوَر الشّيوخِ يسلّمونها مُبْكِّرينَ كلّ صَبَاحٍ ويقولون: يا سيّدنا نأكلُ مما ترزقُوننا. وبأمثالِ هؤلاء الجُهّال أنزلت: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٩ ـ مسألة: الوليُّ مَهْمَا تَقَدَّمَ لا يَصِلُ إلى دَرَجَةِ نبيٍّ.

فائدة: الوِلَايةُ أمرٌ كَسْبِيٌّ أي يُمْكِنُ حُصُولها بالارْتِياضِ والمُجَاهَدَةِ، بينَمَا النّبوّة وهْبِيَّةٌ وعَطَاء الحَبِيبِ أفْضَلُ مِنْ كَسْبِ نَفْسِهِ، فالنبوّة أفْضَلُ مِنَ الوِلَايةِ وإنْ كَانَتْ ولايةَ النبيِّ نَفسه.

١٠ ـ مسألة: لا يَسْتَغْنِي نبيٌّ عَنْ أوامِرِ الشّرعِ سِوَى المَجْذُوبِ، فإنّه يُسْلَبُ عَقْلُه.

فائدة: لا يأتي في مَقَامَاتِ الوِلَايةِ مَقَامٌ يُعفَى فيه الإنْسَانُ عَنْ أوامِرِ الشّرعِ مَعَ بَقَاءِ عَقْلِه وصَحْوِهِ، أمَرَ النبيُّ ﷺ نَفْسَهُ بقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

ويُقَالُ اليومَ: لِعَرْيَانِ النّصفِ نِصْفُ وليٍّ، ولِعَرْيَانِ الكُلِّ وليٌّ كَامِلٌ. بَعْضُ الجُهّال يعلّمُون مُرِيديهِم هذا الدرسَ: نحنُ وإن كُنّا مذنِبينَ ولَكِنْ سَوْفَ نُنْجِيكُمْ مِنَ النّارِ، ويستدلّون بأنّ البَوْلَ وإنْ كَانَ نَجِساً ولَكِنْ

يُطْفِئ النَّارَ وينْسَى هؤلاء أنَّهُم يُؤْتون مَقْبُوضِينَ بالسَّلاسِلِ لسُوءِ أعْمَالِهِم فَكَيْفَ ينْجُونَ الآخرِينَ وكيف تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُم.

حكاية: كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ الجِيلَانيّ رَحِمَه اللَّه تعالى مَرَّةً جَالِساً يُرَاقِبُ في الغَابةِ، إذْ ظَهَرَ له ضَوْءٌ وجَاءَهُ صَوْتٌ: إنَّا رَضِينا بِعِبَادَتِكَ وغَفَرْنَا لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ومَا تأخَّرَ، سَوَاءٌ عليكَ الآن أنْ تَعْمَلَ أو لَمْ تَعْمَلْ. فقَالَ الشيخُ في قَلْبِهِ: إنَّ هذه البِشَارَةَ لم تَنْزِلْ لِمِثْلِ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي اللَّه عنهما فكَيْفَ بُشِّرْتُ بِها؟ لَا شَكَّ أنَّهُ شَيْطَانٌ فقَالَ: لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ.

فلمَّا سَمِعَ هذا فرَّ الشَّيْطَانُ وطُعِنَ طَعْنَةً أُخْرَى وهُو يَفِرُّ، قَالَ: يا عبدَ القَادِرِ الجيلانيّ، إني أضْلَلْتُ كَثيراً بهذه المَكِيدةِ امْتَنَعْتَ أنتَ بعِلْمِك، فقال مباشرةً: لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّه. وقَالَ: يا رَجِيم إنّي لَمْ أمْتَنِعْ بِسَبَبِ عِلْمِي بَلِ امْتَنَعْتُ بفَضْلِ اللَّه تَعَالى فَقَطْ.

وإذ يَسْتَعِيذ مِثْلُ هذا الشَّيْخِ الكَامِلِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أنْ يدّعي أنه رُفِعَ عنه قَيْدُ الشَّريعةِ؟ أما المَجْذُوبُ فهو كالمَجْنُونِ رُفِعَ عنه القَلَمُ، والشَّريعةُ تَنْهَى الجُمْهُورَ عن اتّباعِ المَجَانينِ والمَجَاذيبِ، فَلْيتَدَبَّرِ الذينَ يتّبِعُونَ المَجَانينَ أنَّه لا يُمْكِنُ الوصولُ إلى المَنْزِلِ في الدُّنيا باتّباعِ المَجَانينِ، فَكَيْفَ يَصِلُ إلى المَنْزِلِ سَالِكُ الآخرةِ باتّباعِ مَجْذُوبٍ؟

هذا خَيَالٌ ومَحَالٌ وجُنُونٌ.

١١ ـ مسألة: الأنبياء مَعْصُومُونَ عَنِ المَعَاصِي والأولياءُ مَحْفُوظُونَ عَنْها.

١٢ ـ مسألة: الصَّحَابةُ أفْضَلُ مِنْ سَائرِ أولياءِ الأمَّةِ.

فائدة: هؤلاء جَمَاعةٌ مُخْتارةٌ مِنْ عِبَادِ اللَّه المُصْطَفَينَ. قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

وكانتْ عَلَاماتُ هذه الجَمَاعةِ موجُودةً في التَّوراةِ والإنْجِيلِ. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومِيزةُ هذه الجَمَاعةِ أنَّه لما كَانَ يقولُ رسول اللَّه ﷺ: «سَمِعَ اللَّه لِمَنْ حَمِدَه». كانُوا يقولون: «ربَّنا لَكَ الحَمْدُ».

قالَ المُنَافِقُونَ عنْ هذه الجَمَاعَةِ سُفَهَاء في قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣] فردَّ اللَّه عليهم مَقُولَتهم حيثُ قال: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

يقولُ اللَّه تعالى في مَدْح هذه الجماعةِ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هذه الجَمَاعةُ قَالَ فِيهِمْ أهلُ السُّنةِ والجَمَاعةِ: الصَّحابةُ كلُّهم عدولٌ.

[الإصابة ج ١ ص ٦]

بُشِّرَ أفرادُ هذه الجَمَاعةِ بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «أصْحَابي كالنُّجُومِ بأيِّهِمُ اقْتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُمْ».

[مشكاة المصابيح ص ٥٥٤]

١٣ ـ مسألة: ليُعْتَقَدْ في مُشَاجَرةِ الصَّحابةِ رضي اللَّه عنهم أجمعين أن كِلَا الفَرِيقَيْنِ على الحَقِّ والخَطَأُ اجْتِهَادِيّ.

فائدة: سُئِلَ الإمَامُ الشَّافعيُّ رَحِمه اللَّه عَنْ مُشَاجَرَةِ الصَّحابة رضي اللَّه عنهم أجْمعينَ. فقال: عَصَمَ اللَّه أيْدِينا مِنَ التلوّثِ بدِمَائِهِم. فَلِمَاذا نُلوّثُ بها ألْسِنَتَنا؟ قال السيّد عَبْد الستَّار نَجْم دامت بَرَكَاتهم شِعراً معناه:

الصَّحَابَةُ ولو اقْتَتَلُوا سُعَدَاء هؤلاء شُهَدَاء وأولئك شُهَدَاء

ولْيَكُنْ نُصْبَ عَيْنَيهِ كل حينٍ قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «اللَّهَ اللَّهَ في أصْحَابي، اللَّهَ اللَّهَ في أَصْحَابي، لا تَتَّخِذُوهُم مِنْ بَعْدي غَرَضاً، فَمَنْ

أحبَّهُمْ فبُحبّي أَحَبّهُم، ومَنْ أبْغَضَهُم فبِبُغْضِي أبْغَضَهُم، ومَنْ آذاهُم فَقَد آذانِي، ومَنْ آذاني فَقَدْ آذَى اللّه، ومَنْ آذى اللّه فيوشكُ أنْ يأخُذَهُ".

[رواه الترمذي؛ مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٩٦]

١٤ ـ مسألة: قَالَتِ الصُّوفيةُ: باطِنُ الشَّيْخِ في كُلِّ مَكَانٍ.

فائدة: لا يَعْنِي هذا أنّ الشيخَ حَاضِرٌ وناظِرٌ في كلّ مَكَانٍ بَلْ مَعْنَاهُ أنَّ المُريدَ مَهْمَا يَكُنْ تَبْلُغْه تَوَجّهاتٌ مِنْ شَيْخِهِ.

١٥ ـ مسألة: كَرَامةُ وليٍّ لا تَدُلُّ على أفْضَلِيّتِهِ.

فائدة: الكَرَامةُ هي صُدُورُ أمرٍ فوقَ العَادَةِ ولَهَا أسْبَابٌ ثَلَاثَةٌ:

الأول: قَدْ تَصْدُرُ الكَرَامَاتُ مِنَ الكَامِلينَ حتى يَزْدَادَ قُبُولُهُم لَدَى الجُمْهُورِ.

والثاني: قَدْ يكونُ صُدُورُ الكَرَامةِ مِنَ الوليِّ لِتَقْصِيرٍ مِنْه حتى يتنبَّهَ الأولياءُ المُخْتَفُونَ يخْفُونَ كَرَامَاتِهِم كَمَا تخْفِي العَامَّةُ عُيُوبَهُم.

والثالث: قَدْ تَصْدُرُ الكَراماتُ مِنَ النَّاقِصِينَ والتَّفصِيلُ مَا يَلِي:

كُلُّ وليٍّ يَحْتَاجُ لِعُبُورِ مَرَاتِبِ القُرْبِ الإلهِيّ لأرْبَعِ خطوَاتٍ كُلّ خُطْوَةٍ تُسَمّى سَيْراً.

الخُطْوَة الأولى: هي السَّيْرُ إلى اللّه ويُقَالُ لها العُرُوجُ أيضاً ويَسِير الوليُّ في هذه المَرْتَبَةِ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ أي عَالَمِ الأسْبَابِ إلى عَالَمِ الأمْرِ.

الخطوة الثانية: هي السَّيْر في اللّه ويُقَالُ لها الفَنَاءُ أيضاً ويَجِدُ الوليُّ في هذه المَرْتَبَةِ السَّيرَ في ذاتِه تعالى وصِفَاتِه.

الخطوة الثالثة: هي السَّيْرُ مِنَ اللّه تعالى ويُقَالُ لها النُّزُولُ أيضاً يَرْجِعُ فيها السَّالِكُ مِنْ عَالَمِ الأمْرِ إلى عَالَمِ الأسْبَابِ.

الخطوة الرابعة: هي السَّيْرُ في الأشْياءِ، ويُقَالُ لها البَقَاءُ أيضاً

يَكْتَمِلُ فيها قُرْبُ السَّالِكِ فَيعِيشُ في عَالَم الأَسْبَابِ، فظَاهِرُهُ مَعَ الخَلْقِ وبَاطِنُه مَعَ اللَّه سُبْحَانه وتَعَالى، ويَجِبُ أَنْ يعْلَمَ أَنَّ السَّالكَ مَهْمَا اكْتَمَلَ عُرُوجُهُ اكْتَمَلَ نُزُولُه، ومَهْمَا اكْتَمَلَ نُزُولُه تكونُ حَيَاتُه الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الأَسْبَابِ حتى يَصْعُبَ الفَرْقُ بنظرةٍ ظَاهِرةٍ بينَ الرَّجُل العَادِي وبين الوليّ، فالكَامِلون يَعِيشُونَ في العَوامّ، ولكنّ النَّاسَ لا يَسْتَطِيعُونَ مَعْرِفَتَهُم، ونظراً لأنّ نُزُولَ الأنبياء أكْمَلُ نُزُولٍ كانَتْ حَيَاتُهُمُ الظَّاهِريةُ سَاذِجَةً في بادِئ النَّظَرِ يَرَاهُمُ الناس ويقُولُونَ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وحياةُ سيّد الأنبياء ﷺ كانَتْ سَاذِجَةً جدًّا حتى يَعْسُرَ في بَعْضِ الأحْيانِ إدْرَاك الحَقِيقةِ، بَلْ كانَ الكفَّار يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

أَهْلُ المَدِينةِ لم يَعْرِفُوا رسولَ اللَّه ﷺ يَوْمَ دَخَل المَدِينةَ المنوّرة مُهَاجراً مِنْ مكَّةَ المُكَرّمةِ، وجَعَلُوا يُصَافِحُون أبا بكر الصّدّيق رضي اللَّه عنه، وجاء أَعْرابيٌّ مَرةً وكان النبيُّ ﷺ جَالِساً بينَ أصْحَابِهِ فَلَمْ يَعْرِفْه حتى سَأَلَ مَنْ مِنْكُمْ رسولُ اللَّه ﷺ؟ الكَامِلُونَ يعيشُونَ ظَاهِراً تحت الأسبابِ، فيُعَامَلُون معاملةَ الأسْبابِ حَسبَ أصْل: «أنَا عِنْدَ ظنّ عَبْدي بِي».

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٦]

فيقلّ صدُورُ الكَرَاماتِ عنهم. فجَمَاعةُ الصَّحَابةِ رِضْوَانُ اللَّه عَلَيْهم أجْمَعِين جَمَاعةٌ اخْتَارَها اللَّه تعالى، ولَكِنْ لَمَّا كان عُرُوجُهُم كَامِلاً كانَ نُزُولُهُم أيضاً كَامِلاً، فكانَ صُدُورُ الكَرَاماتِ منهم قَليلاً جدًّا حتى كأنّها لا شيءَ بالنِّسْبةِ إلى كَرَامَاتِ أولياءِ الأمّةِ، وهذا لا يَدُلّ على النَّقْصِ بَلْ يَدُلّ على الكَمَالِ.

وهُنَاك أمْرٌ آخَرُ يَجِبُ مُلَاحَظَتُه، وهُوَ أنَّ أي سَالِكٍ مَهْمَا نَقَصَ

عُرُوجُه نَقَصَ نُزُولُه، ولمَّا نَقَصَ نُزُولُه فقَدْ يتوقّف أمْرُه بما فَوْق عَالَم الأسْبَابِ، فيصْدُرُ عنه أمُورٌ تُخَالِفُ الأسبابَ، وتُسَمَّى كَرَاماتٍ؛ فهذا يدلّ على النَّقْصِ. وفيما يَلِي أمثلة توضّح ما قلناه.

المِثَالُ الأولُ: كَانَ الحَسَنُ البَصرِيُّ رَحِمَه اللّه مِنْ كَامِلِي أولياءِ هذه الأمَّةِ، وحَامِلِي العِلْمِ الظّاهريِّ والباطنيِّ، سَبَقَ أهْلَ عَصْرِه، أخَذَ الخُرقَةَ مِنْ سيّدنا عليٍّ رضي اللّه عنه، صَحِبَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أصْحَابِ بَدْرٍ رضي اللّه عنهم أجمعين، كَانَ عُرُوجُه كَامِلاً ونُزُولُه أيضاً كَامِلاً، فكَانَتْ حَياتُه الظَّاهِرةُ تحت الأسْبابِ. كَانَ حَبِيبٌ العَجَمِيّ مِنْ مُريدِي الحَسَنِ البَصرِيّ رحمهما اللّه تعالى، لمْ يكنْ له عِلْمٌ ظَاهِريّ ولَمْ يَكُنْ عُرُوجُه كاملاً ولا نُزُولُه، وقِصَصُ هذين الشّيخيْن مُحْتَاجَةٌ إلى التَّحْقِيقِ.

كَانَتِ الشُّرطَةُ تطْلبُ الحَسَنَ البصريَّ رحمه اللّه تعالى حتى يُكَلّفَ بوظيفةٍ حُكُوميَّةٍ، ولمْ يكنِ الشَّيْخُ يَرْغَبُ فيها، فَهَرَبَ الشيخُ الحَسَنُ البصريُّ حتى اخْتَفَى في غُرْفةِ حَبيبٍ العجميّ وقال: يا حَبيبُ لا تُخْبِرْ أحَداً أنّي اختفيتُ هنا، بَيْنَمَا كذَلك إذْ جاءتِ الشّرطةُ فسألُوا حبيباً العجميَّ: هَلْ رأيتَ الحَسَنَ البصريّ؟ فقال: نَعَمْ، اخْتَفَى في هذه الحُجْرةِ، وكَانَ الحَسَنُ البَصرِيُّ يسمَعُ كَلَامَهُم، فَخَافَ كأنّ الأرضَ خَرَجَتْ من تَحْتِ قَدَميْهِ. دَخَلَتِ الشُّرطَةُ في الحُجْرةِ فأخْفَاهُ اللّه تعالى عَنْ أبْصَارِهِمْ، فتَشُّوا هنا وهناك فلمْ يَرَوا الشيخ فرجعُوا. فخَرَجَ الحَسَنُ البَصريُّ وقال: يا حبيبُ! لِمَ أخبرتَ الشّرطَةَ أنّي في الحُجْرةِ؟ فقال: يا شَيْخُ هل اسْتَطَاعُوا أن يَنْظُرُوا إليك؟ يَبْدُو ظَاهِراً أنّ رُتْبَةَ حَبيبٍ العجميّ عاليةٌ، ولَكِنْ كَانَ تَفَكّر الحَسَنِ البصريّ تابعاً لما تحت الأسْبابِ، وكان تفكّر حبيبٍ العجميّ تابعاً لما فوق الأسْبابِ.

كانَ الشيخُ الحَسَنُ البصريُّ يمرّ في الشّارعِ فرأى قِبَاء حبيبٍ العجميّ مَوْضُوعاً فَتَحيَّر أيْنَ ذَهَبَ حبيبٌ ولِمَ تَرَكَ القِبَاء ههنا؟ فوقَفَ

ينتظِرُه وبعْدَ قليلٍ رَجِعَ حَبيبٌ العَجَمِيُّ، فسألَه الحَسَنُ البصريُّ: يا حبيبُ في ذِمَّةِ مَنْ تَرَكْتَ هذا القباءَ؟ فقال الحَبِيبُ: يا سيّدي تَرَكْتُه في ذِمّةِ مَنْ أقَامَك لِحِفْظِهِ، فَظَهَرَ أنَّ تَفَكّرَ حَبيبٍ العجميّ تفكّرُ ما فَوْقَ الأسْبابِ، وتفكّرَ الحَسَن البصريّ تفكّر ما تَحْتَ الأسْبابِ.

كانَ حَبِيبٌ العجميُّ يريدُ مرَّةً أن يَعْبُرَ البَحْرَ، فلمَّا وَصَلَ إلى الشَّاطئ وَجَدَ الحَسَنَ البصريَّ جَالِساً فسأله: لِمَاذا تَجْلِسُ ههنا؟ فقالَ: أنْتَظِرُ السَّفِينَةَ لأعْبُرَ البَحْرَ فأخَذَا يَتَكَلّمَانِ، وبَعْدَ لأْيٍ قَالَ حبيبٌ: تَفَضَّل يا سيّدِي أريدُ الذّهَابَ، قال هذا وَعَبَرَ البَحْرَ مَاشِياً على المَاء، والحَسَنُ البصريُّ جالسٌ ينتظرُ السَّفينةَ فجاءَتِ السَّفِينةُ فعَبَر البَحْرَ.

يَبْدُو مِنْ هذه القصَصِ أنَّ حبيباً شيخٌ كاملٌ عالي المَرْتبةِ، ولَكِنَّ الحَقِيقةَ خِلَافُه. كانَ الحَسَنُ البصريُّ شَيْخاً والحبيبُ العجميُّ مريداً. كَانَ الحَسَنُ البَصرِيُّ كَامِلاً وكانَ حبيبٌ العجميُّ نَاقِصاً، كَانَتْ حَيَاةُ الحَسَنِ البَصرِيِّ مُوَافِقَةً لما تَحْتَ الأسْباب، وكانَتْ حَيَاةُ حَبيبٍ العجميّ موافقةً لما فَوْق الأسباب. كانَتْ حَيَاةُ الحَسَنِ البَصرِيّ أقْرَبَ وأشبَهَ بحياةِ نبي اللّه ﷺ. ولم يَكُنْ لحياةِ حبيبٍ العجميّ كمال مشابهةٍ بحياته ﷺ. فثَبُتَ أنّ صُدُورَ الخَوَارِقِ لا يَدُلّ على الكَمَالِ.

المثال الثاني: عَلِمَ شيخٌ بوفاة ابنه فَلَمْ يَحْزَنْ ولم يُبَالِ وقال: اسْتَرَدّ مَنْ كَانَ الولدُ أمانتَه. بينما تُوفّي ابن رسول اللّه ﷺ فكَانَ يَسْتَعْبِر ويقولُ: «القَلْبُ يَحْزَنُ والعَيْنُ تَدْمَعُ، وإنَّا بِفِرَاقِكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُونَ». كانَتْ حَيَاةُ سيّد الأنبياء الظاهرةُ مُوافِقَةً لما تحت الأسباب، ولهذا كان يَبْكي، بَيْنَما كَانَ أمْرُ الوليّ في ذلك الوَقْتِ أمْرَ عَابِرِ الطَّرِيقِ فلَمْ يَحْزَنْ بفِرَاقِ الوَلَدِ.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٤٥] بناء عليه أرشَدَ النبي ﷺ أمَّتَه ليسْألُوا اللّه الجَنَّةَ ويقولوا: «اللَّهُمَّ إنَّا

نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ ونَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ». بينما رَابِعَةُ البصرِيَّةُ حَمَلَتْ بإحدى يَدَيْها النَّارَ وبالأُخْرَى المَاءَ وَخَرَجَتْ تقولُ: أنا أُحْرِقُ الجَنَّةَ وأُطْفِىءُ جَهَنَّم حتَّى يخلصَ الناسُ العِبادةَ للّه تعالى، ولا يَبْقَى لَهُم طَمَعٌ في الجَنَّةِ ولَا خَوْفٌ مِنْ جَهَنَّمَ. فقول النبي ﷺ في جانبٍ، وعَمَلُ رَابِعَةَ البصريةِ في جَانِبٍ آخَرَ. ولذلك قال الشَّيْخُ المجدّدُ في مَكْتُوبَاتِهِ: لم يَكُنْ نُزُول رَابِعَةَ البصريةِ كاملاً فكانَ فِكْرُها مُوافِقاً لما فَوْقَ الأسباب. رَابِعَةُ المِسْكِينَةُ إن اطَّلَعَتْ على هذا السرّ لم تَخْرُجْ قَابِضَةً بإحدَى يديْها النَّارَ وبالأُخْرَى المَاءَ.

فتبيَّن مِنْ هذه الأمْثِلةِ الثَّلاثَة أنَّ بَعْضَ الأولياءِ لَمْ يَكُنْ نُزُولُه كاملاً، فيكثُرُ منهم صُدُورُ الخَوَارِقِ، ونَتِيجةُ هذا التَّفْصِيلِ أن إظْهَارَ الكَرَامَاتِ قد يكونُ لِوَضْعِ قَبُولِ الكَامِلِينَ في العَامَّةِ، وقَدْ يَكُونُ لِلْعُقُوبَةِ والجَزَاءِ، وقد يَصْدُرُ لناقصِ النزولُ، ولمَّا كانَ الفَرْقُ صعباً جُعِلَ الأصْلُ أنّ كَرامَاتِ وليٍّ لا تدلّ على فَضْلٍ.

١٦ ـ مسألة: الاسْتِقَامةُ فَوْقَ الكَرَامةِ.

فائدة: الاسْتِقَامَةُ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ كلّ عَمَلٍ في كلّ وَقْتٍ مُوَافِقاً للشَّريعةِ والسُّنةِ. والاسْتِقَامةُ هي أكْبَرُ كَرَامة. مَكَثَ رَجُلٌ في صُحْبَةِ جُنَيْدِ البَغْدَاديّ عدَّةَ سَنَواتٍ، قال يوماً: يا سيّدي! ائذن لي أرْجِعْ إلى شَيْخٍ آخَرَ، فقال: ولماذا؟ قال الرجُلُ: مَكَثْتُ في خِدْمَتِكُم عدةَ سَنَواتٍ ولَمْ أُشَاهِدْ أي كَرَامةٍ. فقَالَ الشَّيْخُ: وهَلْ شَاهَدْتَ عَمَلاً يُخَالِفُ السُّنَّة النبويةَ؟ فقال: لا. فقال: وأي كَرَامةٍ فَوْقَ هذا؟

أُخْبِرَ الشَّيْخُ أبو يزيدَ البسطَامي بشيخٍ صَاحِبِ كَراماتٍ فذهب لِلِقَائِهِ، فرأى مِنْ بعيدٍ أنه احْتَاج إلى إلقَاءِ البصاقِ فتَفَلَ إلى القِبْلَةِ فَرَجَعَ الشَّيْخُ أبو يزيدَ مِن غيْر تَسْليمٍ عليه وقال: مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ على مُسْتَحَبّ

كيفَ يكونُ من كِبارِ الأولياء؟ فَعَلَامَةُ كَوْنِ الرجلِ وليًا أنْ تَكُونَ جميعُ أحْوالِهِ مُوافِقَةً للسُّنَّةِ والشَّريعةِ.

١٧ ـ مسألة: رُفِعَ بناءُ قبورِ الأولياء فوق ما هو معروفٌ وبناءُ السَّقْفِ عليها لا يَجُوز.

فائدة: لا يجوزُ البناءُ على القُبورِ كمَّا هو في الحديث الصَّحيحِ، فبناء السَّقفِ ورَفْعُ بنائهِ فوق ما هو مَعْروفٌ لا يجوزُ.

١٨ ـ مسألة: يظهر مِنْ بعضِ الأولياءِ التصرفاتُ والخَوَارقُ بَعْدَ وفَاتِهِمْ. لم يَنْقَطِعْ فُيُوضُ أهْلِ اللَّه بعد الانْتِقَالِ مِنَ الدُّنيا، بَلْ لَا تَزَالُ السّلسلةُ الروحانيةُ فَلَا يَبْعُدُ ظُهُورُ التَّصَرّفاتِ والخَوَارِقِ مِنْ بَعْضِ الكَامِلينَ بعد وَفَاتِهم.

١٩ ـ مسألة: إنْ رَأى في المَنَامِ أنَّ النبيَّ ﷺ رَضِيَ بأمرٍ يخالفُ الشَّريعةَ فلا عِبْرَة بهذا المَنَامِ.

فائدة: قال النبيُّ ﷺ: «فإنَّ الشَّيْطَانَ لَا يتمَثَّلُ بي». قال المُجَدّد وهو يَشْرَحُ هذا الحَدِيثَ: إنَّه حَدِيثٌ صَحِيحٌ فَلَا يَتَمَثَّل الشَّيْطَانُ بصُورَتِه التي هو مَوْجُودٌ بها في المَدِينةِ المنوَّرَةِ، ولَكِنْ يُمْكِنُ أن يُرِيَه الشَّيْطَانُ صُوَرةً أخْرَى ويُوسْوِسَ في القَلْبِ أنَّكَ تَرَى رَسُولَ اللَّه ﷺ، فَمَنْ يحقّق أنَّه زَارَ تلك الصّورةَ الحقيقية أو غيرها؟ فالفارِقُ لنا بيْنَ الحقّ والبَاطِلِ هو الشّريعةُ والسُّنةُ، وإن رأى في المَنَام وليًا يأمُرُ بما يُخَالِفُ الشّرعَ فلا حجَّة في ذلكَ. بعضُ الناسِ يَرَوْنَ في المَنَامِ أنّ أحداً مِنْ آبائهِ وأجْدادهِ يأمُرُه بشيءٍ يُخَالِفُ الشَّرِيعةَ فيقَعُونَ في أمورٍ ضدّ الشَّريعةِ. أسْتَغْفِرُ اللَّه هذا جَهْلٌ كُلُّهُ أنْ يُجْعَلَ الدِّينُ القَوِيمُ أدْوَنَ وأهْوَنَ مِنَ الرؤيا.

٢٠ ـ مسألة: أعْمَالٌ لا يَجُوزُ مُبَاشَرَتُها بالقُوَى الظَّاهِريةِ لا يَجُوزُ مُبَاشَرَتُها بالقُوَى البَاطِنيةِ.

فائدة: العَمَلُ الذي لم تُبِحْهُ الشَّريعةُ لا يجوزُ بالقُوَى الظَّاهرةِ ولا بالقُوى البَاطِنَةِ. مِثَالُ ذَلِك أنْ يُلْقِي شَخْصٌ توجّهاتِه على شَخْصٍ ويسخّره لأمورٍ مُخَالِفَةٍ للشّريعةِ، فهذا لا يَجُوزُ، وكأن يَكُونَ له عَدَاوةٌ لِشَخْصٍ فلا يَجُوز أنْ يجنّنه بالتصرّفِ الباطنيّ.

٢١ ـ مسألة: إنِ اتّفَقَ صُدُورُ مَعْصِيَةٍ مِنْ وليٍّ لَمْ يخِلَّ بولايته وكَرَامَتِه إذا لم يُصِرَّ عليها.

فائدة: صدورُ مَعْصِيةٍ اتّفَاقاً مُقْتَضَى البَشريّة، ولَكِنَّ الكَامِلين يَتُوبُونَ بعد مِثْل هذه المَعْصِية توبةً يَنَالُونَ أجراً لا يَنَالُه العَامَّةُ على الأعْمَالِ الصَّالِحَةِ، صُدُورُ المَعْصِية مِنَ الأولياء مُمْكِنٌ، ولَكِنْ لا يُصِرّون على الذُّنُوبِ لأنه دأبُ الفُسَّاقِ.

٢٢ ـ مسألة: ولَدُ الوليّ بدون الأعمالِ لا يصير شيخاً.

فائدة: كَمَا لا يصِيرُ وَلَدُ الطّبيبِ طبيباً ما لَمْ يَتَعَلَّمْ فنّ الطِّبِّ، كَذَلِك لا يَصِير وَلَدُ الوليّ وليًّا ما لَمْ يَحْصَلْ على مَقَامَاتِ الولايةِ بالتَّقْوَى، والتَّزكِيةُ مَنَاطُ الوِلَايةِ لَدَى الجُهَّالِ العَمَامةُ والشَّجَرةُ، فقَدْ أصْبَحَ الفسّاقُ الفجّار ذوو الأعمال السيّئة مُرْشِدِي مِئَاتِ ألوفٍ مِنَ النَّاسِ في الرُّوحَانِيَّةِ مِنْ أجْلِ آبائِهِم وأجْدَادِهِم، مَعَ أنَّهُم لم يَعْرِفُوا راء الروحانيّة وهؤلاء يَصْدُق عَلَيْهِم قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩].

إنَّما عَمَلُهُم إضاءةُ النّيرانِ في الأعْراسِ السَّنويَّةِ أو جَمْع الجُمُوعِ وتَوزِيعُ الحلْوياتِ لا يتبعونَ الشَّريعةَ ولا يَجِدُون توفيقاً للتّبليغِ إلى غيره، فهَذا ضلالٌ كلّه كمَا قال قائلٌ:

وجَدُوا في المِيرَاثِ مَنْصِبَ الإرْشَادِ
وقَعَتْ في يَدِ الغُرابِ أعْشَاشُ العقَابِ

٢٣ ـ مسألة: الإحْدَاثُ في الطَّريقةِ كالإحْدَاثِ في الشَّريعةِ في الإثْم.

فائدة: بِدْعَةُ الطَّريقةِ كَبِدْعَةِ الشَّريعةِ إنْ رَسَخَ هذا القَلْبُ تيسّر الوِقَايةُ مِن بدعَاتِ المشايخِ الجُهَّال.

٢٤ ـ مسألة: يُعطَى المُقَرَّبونَ ثَوابَ العباداتِ أكْثَر من الأبْرارِ.

فائدة: قال النبيُّ ﷺ: «لا تَسُبّوا أصْحَابي فَلَوْ أنَّ أحَداً أنْفَقَ مِثل أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدّ أحَدِهِم ولا نَصِيفه».

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٨ ص ٥٥٢]

فثَبُتَ أنَّ الوليَّ مَهْمَا تَقَدَّمَ في القُربِ يزدَادُ أجْرُ عِبَادته، وأيْضاً يؤاخَذُونَ فوقَ ما يؤاخَذُ الأبرارُ. ولِذَلِكَ قيلَ: حَسَنَاتُ الأبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ.